العنوان بين مدلول اللغة ومفهوم الاصطلاح

د.بن الدين بخولة
جامعة الشلف- الجزائر

الملخص:

يعد العنوان نصا موازيا الذي لا يزال يشكّل مدخلا أساسا لدراسة النّص الأدبي، ومفتاحا مهما للدّخول إليه، بوصفه علامة تتموقع في واجهة هذا النّص الأدبي يعد العنوان أهمّ مرجع يتضمّن بداخله العلامة والرّمز وتكثيف المعنى، إذ يحاول الناص من خلاله أن يثبت مقصده برمته، بوصفه النّواة المتحركة التي خاط عليها نسيج نصه.والعنوان علامة سيميائية تعّد الحّد الفاصل بين النّص والعالم، فيصبح بذلك نقطة تقاطع يمرّ من خلالها النّص إلى هذا العالم، كما أنّه جسر واصل بين النّص والكاتب، فبين العنوان والنّص بنية كتابية تعلو هذا الأخير- النّص- وتتعالق معه دلاليا، فهو جزء منه لما يمكن أن يطرح من الدلالة والمغزى العام الموجود في النّص، والذي يهدف إليه الكاتب من خلال العنوان.

summary

The form of the title is an essential part of the study of literary text, which not only forces the recipient to read the work, but also raises intuitiveness and curiosity to complete reading the work, and raises in the mind of the recipient several questions that cannot be answered unless they break into the depths of the text, one of the most prominent hindrances facing recipient in a way to detect text and worlds if has not interpreted it, as is clear that the title is the first threshold .. for it is the first signal and a linguistic sign the recipient receives in communicating and interacting with.

البحث:

يشكل العنوان **مدخلا أساسيا في دراسة النص الأدبي، وهو** يجبر المتلقي على قراءة العمل ، بل يثير لديه الحدسية والفضول اللذين يخضعانه لاستكمال قراءة العمل ، ويثير في ذهن المتلقي تساؤلات عدة لا يستطيع الإجابة عنهالم يقتحم أغوار النص، وهو من أبرز العتبات التي تواجه المتلقي في طريقه للكشف عن النص وعوالمه إن لم يكن أولها؛ ومن الجلي عن البيان أنه العتبة الأولى ..فهو يعد أول إشارة وعلامة لغوية يتلقاها المتلقي في التواصل والتفاعل معه[1]

وقد حاول" **جيررا جينيت** "تقديم تعريف أكثر دقة للعنوان فقال«: مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه ويشير لمحتواه الكلي،ولتجذب [2]جوهره المستهدف» فالعنوان هو الذي يتضمن بداخله العلامة والرمز، وتكثيف المعنى؛ إذ يحاول المؤلف أن يثبت فيه مقصده برمته بوصفه النواة المتحركة التي خاط عليها نسيج نصه، إلى جانب أنه علامة سيميائية ، تمارس التدليل وتتموقع على الحدِ الفاصل بين النص والعالم

لتصبح نقطة التقاطع الإستراتيجية التي يعبر منها النص إلى العالم والعالم إلى النص، لتنفي الحدود الفاصلة بينهما ، ويحتاج كل منهما إلى الآخر ،إنَّه بنية كتابية تعلو النص وتتعالق معه دلاليا.

إنَّ أهمية العنوان تكمن فيما يثيره من تساؤلات قد لا نجد لها إجابة إلا مع نهاية العمل [3]فعلاقة العنوان بالنص علاقة معقدة إنه مدخل إلى عمارة النص، وإضاءة بارعة لمراته المتشابكة، إذ يطرح العنوان العديد من الإشكاليات وهذه الأخيرة تقتضي بذل مجهودات من أجل تحليله. وبهذا المعنى تتعدد طبيعة العنوان ووظائفه فأحيانا يكون مؤشرا وحافزا وبؤرة مركزية مضيئة ،وأحيانا يكون هاوية سحيقة والسؤال الذي يهم على الخيال فذاتية المتلقي تنصب أولا على العنوان الذي يمثل أعلى اقتصاد لغوي

في مفهوم العنوان لغة:

أمّا كلمة **عنوان** فَيَتِمُّ النَّظر إليها في القاموس المحيط على النَّحو اللآتي:

"عَنَّ الشيء يَعِنُّ ويَعُنُّ عَنًّا وعَنَناً وعُنوناً: إذا ظَهَرَ أمامك واعترض. وعنوان الكتاب سُمِّيَ لأنَّه يَعِنُّ له مِن ناحيته. وعَنَّ الكتابَ وعَنَّنَهُ وعَنْوَنَهُ وعَنَّاه: كَتَبَ عُنوانه"[4] وفي مختار الصحاح نجد تقارباً بين العنوان والمعاناة: "عَنْوَنَ الكتاب، والاسم العُنوان. والمُعاناة: المُقاسَاة. يقال:عَانَاه، وتَعَنَّاه، وَتَعَنَّى" [5]ولا يبتعد المعجم الوسيط عن القاموس المحيط كثيراً، ولكنّه يضيف بعض الأمثلة، فيقول: "عَنَّ له الشيء عَنًّا وعُنوناً: ظهر أمامه واعترض. ويقال: لا أفْعَلَهُ مَا عَنَّ نجم في السَّماء. ويقال: عَنَّ لي الأمر، وعَنَّ بفكري الأمر. و عَنْوَنَ الكتاب:كَتَبَ عُنوانه، والعنوان ما يُستدل به على غيره ومنه عنوان الكتاب. وفي التنزيل العزيز: "وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وقد خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً"[6] وجاء في لسان العرب:" وعنونت الكتاب وأعنونته لكذا أي عرضته له وصرفته إليه. وعنّ الكتابَ يَعُنُّه عنّا وعنّونته: كعنونه، وعنونته وعلونته بمعنى واحد، مشتق من المعنى. وقال اللحياني: عننت الكتاب تعنينا وعنّيته تَعْنِيَةً إذا عنونته، أبدلوا من إحدى النونات ياء، وسمي عنوانا لأنه يَعُنُّ الكتاب من ناحيتيه، وأصله عَنّان، فلما كثرت النونات قلبت إحداها واوا، ومن قال عُنوان الكتاب جعل النون لاما لأنه أخف واظهر من النون. ويقال للرجل الذي يعرّض ولا يصرح: قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته[7]

العنوان اصطلاحا:

العنوان هو الخطوة الأولى من خطوات الحوار مع النص، هو جموعة من العلاقات للسانية قد ترد طالع النص لتعيينه وتعلن عن فحواه وترغب القراء فيه .وهو من أهم الأسس التي يرتكز عليها الإبداع الأدبي المعاصر، لذلك تناوله المؤلفون بالعناية والاهتمام خاصة في الإنتاج الشعري الحديث والمعاصر ،كل هذا دفع إلى التفنن في تقديمه للمتلقي، حتى يكون مصدر إلهامه، وحافزاً للبحث في أغوار هذا العمل الفكري، للعنوان من الناحية الاصطلاحية عدة معان لخصها"محمد فكري الجزار " فيما يأتي:

العنوان : القصد و الإرادة / ب -العنوان : الظهور و الاعتراض /ج -العنوان : الوسم والأثر[8]

القصد : يقال : عنيت فلانا عنيا أي قصدته . ومن تعني بقولك أي من تقصد

الإدارة : يقال عنيت فلانا بالقول كذا: أردت .ومعى كل كلام ومعناها ومعنيته :مقصده الظهور :عن الشيء يعن عّننا وعنوانا واعتن : اعترض وعرض

الوسم : أو السمة أو العلامة. قال ابن سيدّة : وفي جبهته عنوان من كثرة السجود أي أثر الأثر وبغض النظر عن كل تلك المعاني التي اكسبها العنوان فهو اصطلاح« مقطع لغوي أقل من الجملة يمثل نصا أو عملا فنيا» [9]

وهو« وحدة اتصال ممتاز ، ومفتاح دلالي مهم ، فهو من جهة وحدة معرفية مستقلة ، لها كيانها الخاص ودلائلها التي تعبر عنها ومن جهة أخرى سمة وظيفية مرتبطة بأدائها لعمله تجاه النص الذي تتعالق معه [10]»

بناء على ما سبق يمكن القول إن العنوان بوصفه بنية كتابية تعلو النص وتتعالق معه دلاليا وهذه سمة تصب في توفير طاقة المتلقي نحو النص . فالعنوان في النص القصصي وفي غيره يعد جزءاً عضويا منذ الوهلة الأولى بما يمكن أن تطرحه من دلالة في البنية السردية والمغزى الذي تهدف إليه. وعلى الرغم من أن العنوان يقوم على حرية اختيار الدوال وتركيبها فإنه يراعى دلالة ما يعنونه بما يتيح إمكانية قيام علاقة بين العنوان والنص ، وهذا يعني أن العنوان بوصفه بنية لا بد أن يراعي دلالة النص المعنون؛ لأن العنوان" يؤلف على مستوى التعبير مقطعا لغويا يعلو النص تتحكم به قواعد سيميائية تعمل على بلورة موضوعته وتحديد رؤيتها وترميز دلالتها في مفردة أو عبارة ذات أجزاء ألفاظ مفردة (تتعاقب لأداء).وظيفة تأسيس أو وجهة نظر من التركيب العام للنص" [11]

يعبر العنوان عن علامة لسانية وسيمولوجية غالبا ما تكون في بداية النص ، لها وظيفة تعيينية ووظيفة تأشيرية أثناء عملية تلقي النص والتلذذ به تقبلا وتفاعلا لما يحتويه من دلالات فنية وجمالية . فهو المفتاح الذي به تحل ألغاز الأحداث وإيقاع نسقها الدرامي وتوترها السردي ، فضلا عن مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص وتحديد ثيمات الخطاب القصصي ، وإضاءة النصوص به فهو بنية عامة قابلة للتحليل والفهم والتفسير والتقويم أيضا من خلال عناصر النص الأساسية التي تتمثل في مشاهده ومتتالياته ووحداته الوظيفية ومراحل تكوين بنيته العامة ، وهو يحتل في الفضاء النصي موقعاً استراتيجياً خاصاً يشرف منه على النص، يحرسه ويضمن وحدته وعدم تفككه وذوبانه في نصوص أخرى

إن العنوان هو كلام يضعه كاتب العمل للإشارة إلى العمل، ولأغراض أخرى أرادها له، وهي أغراض لا حصر لها تتعلق بنوع العمل وبمقاصد الكاتب، وهذا الكلام يحتل الفضاء التدويني المخصص للعنوان. فإن كان الحديث يدور عن عنوان قصيدة فإن هذا الفضاء هو ذلك المكان المفصول طباعيا بمسافة مائزة عن السطر الأول من النص. ، وللعنوان وظائف مختلفة ، وينبه يحياوي إلى أن التوصل إلى هذه الوظائف ليس بالأمر اليسير في مجال الإبداع، وذلك لأن

العلاقة بين العنوان والنص معقدة جدا [12] منها الوظيفة الوصفية وهي وظيفة برجماتية، يريد الكاتب منها إحداث أكبر ردة فعل لدي المتلقي، والكاتب هنا جعل عنوانه غامضا ملغزا ومشفرا ولم يكن واضحا مما قد يثير الكثير من التساؤلات، هذه الوظيفة هي " المسئولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان، والصادرة عن عدد لا بأس به من المبدعين والمنظّرين، الذين أبدوا دوماً انزعاجهم أمام التأثير الذي يمارسه العنوان عند تلقي النّص بفعل خاصيته التثقيفية الموجهة إلى القارئ [13]

ومن هنا وجدت السيميولوجيا نفسها تهتم بالعنوان، وذلك لأن كل الأنظمة السميائية غير اللغوية إضافة إلى اللغوية تحتاج إلى اللغة للتعبير عنها، وعلى هذا الأساس نجد **رولان بارث** يؤكد" أن تخيل نظام من الصور والأشياء التي تستطيع مدلولاتها للتواجد خارج اللغة، أمر يزداد صعوبة أكثر فأكثر[14]" وهذه الحقيقة يوضحها الدكتور صلاح فضل بقوله":إنَّ الباحث السيمولوجي بالرغم من أنه يباشر عمله على مواد غير لغوية فإنه لا يلبث أن يجد اللغة محيطة به من كل جانب، هذه اللغة الحقيقية التي تمثل عنصر الأغنى عنه– لا كمجرد نموذج -وإنما كوسيط للدلالة ... مما يضطر بعض الباحثين إلى أن يعكسوا في نهاية الأمر مقولة" **سويسور**" ويرون أن السيمولولوجية تمثل جزءا من علم اللغة على أساس أن موضوعها لا يخرج عن كونه الوحدات الدالة الكبرى [15] ومن هنا يصبح العنوان عنصرا أساسيا لا زئدا [16] لأنه يرتبط بكل أنواع الأنظمة السيميائية اللغوية منها (كثيرا

من مجالات استعمال العنوان وغير اللغوية وقد حدد الباحث **جيرار فيقنز**G.VEGNES) [17]

ذلك أنّ العنوان - في حالة النَّص الأدبي- هو بوابة السّياق ومفتاحه، وكلما أفضى سياق إلى سياق آخر يظلّ لهذه المتواليات السِّياقيّة سياق كبير وأصيل اسمه عنوان العمل الأدبي؛ لذلك ينبغي النَّظر إلى العنوان بوصفه "واسطة اتّصال بين النّظام السيميائي الذي يرتبط به، وبين المتلقي لهذا النِّظام، وعلى هذا نستنتج وجود ثنائيتين، هما: ثنائية العنوان/النظام السيميائي، وثنائية العنوان/ المتلقي[18] وهو ما يقودنا إلى ضرورة النَّظر في العنوان بمستوياته اللغويّة: الصوتيّة، والصرفيّة، والنَّحويّة، والدِّلاليّة، ثمّ الارتقاء بالدِّراسة إلى مستوى النّص بوصفه جزءاً مِن عملية الاتِّصال وقد يعد كثير من الباحثين العنوان رسالة لغوية ـ بالمفهوم السيميائي ؛ ـ إذ يعاملونه معاملة النص لأنه البناء اللّغوي للعنوان في شتى أشكال الخطاب الأدبي يؤدي وظائف فنية تتجاوز دائرة الوظائف البراجماتية ممثلة في لفت الانتباه والأخبار و الإعلام [19]وإنَّ أيَّ نصٍ أدبي هو عملٌ مُغلق له غيبيات ومكنونات ، لا نستطيع كشفها أو التعرف عليها إلا بعد القراءة ، بل نستطيع أن نكون تصورًا أو تخيلاً كاملاً لمحتويات النص و ما يحتويه النص قبل أن نقرأه؛ لأن ثمة علاقة وطيدة بين العنوان والنص ذاته، فما هو إلا تلخيص كاملٌ للنص الأدبي في كلمة أو اثنتين أو ثلاث على أقصى تقدير، وتزداد **أهمية العنوان، سواء في النثر أو في الشعر، خلال قراءة النص، وهذا لأن القارئ يتوجه إلى النص وقد علقت في ذهنه إيحاءات العنوان ورموزه، وهو يقوم بربط كل هذا بما يلاقيه أثناء عملية قراءة النص وتأويله. وإذا كان الحديث يدور عن قصيدة بشكل خاص، فإن العنوان يتخذ أهمية أكبر**

بعد قراءتها، لاتخاذه طبقات من المعنى أكثر عمقا في سياق ثيمات القصيدة المتعددة، هذا بالإضافة إلى أن العنوان في حالات كثيرة يمكنه إعادة خلق قطعة أدبية ما [20] فإذا كان العنوان للنص هو السمة الدالة عليه فإنَّه بالنسبة إلى المؤلف خلاصة التجربة الفنية التي أنجزها، وهو بمثابة عصارة أفكار هذه التجربة وجماليتها، فالمتلقي لن يلج إلى النص إلا عبر عتبة العنوان، فهناك صلة وثيقة متلازمة بين النص والعنوان من جهة، وبين المؤلف والعنوان من جهة ثانية، ثم بين المتلقي، والعنوان والمتلقي يرى في العنوان مصيدة له تشده إلى تناول النص وقراءته وعليه فان هناك علاقة جدية بين هذه المحاور الثلاثة (النص، المؤلف،(المتلقي/العنوان[21] إن صيغة العنوان تتفاوت في قدراتها الدلالية وعلاقاتها بالمضمونات بمختلف أجناسها، إلا أنها تبقى رمزا إشاريا لتدمج في فضاء غير فضائها وتقبل غيرها في الاندماج في فضائها. ، فهو عتبة نصية خاصة، فكثرت الدراسات حوله ومنها اعتبار العنوان آخر ما ينكتب وأول ما ينقرئ ؛ إنه مفتاح دلالي مهم.كما أنه أهم وسيلة اتصال بين النص المتلقي كأحد مفاتيح الشفرة الرمزية للعمل الأدبي ؛ إذ يترتب عليه القيام باختزال عمله، والتعبير عنه في رمزية لغوية محدودة لا تتعدى المفردة أو الجملة الواحدة.[22] وللعنوان وظيفةً أو وظائفَ يضطلع بها. ويحصر ج. **جينيت** هذه الوظائف في أربعٍ، هي: تعيين النص، وتحديد هُويته - وصْف النص - الوظيفة الدلالية الضمنية أو المصاحِبة - الوظيفة الإغْرائية وهو علامة لسانياتية- دالّ ومؤثر، وأنه يشتغل وَفْقَ أواليات دقيقة تربطه بالنص من وجهة، وتضْمَن له التأثير في المتلقي من وجهة ثانية ، إذ يمتلك العنوان بمفرداته المعدودة قوة جمالية للحكم علي النص والشروع فيه من عدمه وهل نجح في عملية جذب وإغواء القارئ أم فشل في ذلك؛ فعلى الكاتب أن يحكم بنية العنوان اللغوية والمجازية فبنية العنوان دائما ما تمتلك القدرة علي الحكم الجمالي علي النص، إذ تشبه القطرة التي تلخص كل صفات المحيط، والشجرة التي تختزن جميع صفات الغابة..." [23] ن العنوان من شأنه أن يجبر المتلقي على قراءة العمل ، بل يثير لديه الحدسية والفضول اللذين يخضعانه لاستكمال قراءة العمل ، ويثير في ذهن المتلقي تساؤلات عدة، لا يستطيع الإجابة عنها ما لم يقتحم أغوار النص، وهذا ما عمد إليه كثير من الشعراء في خلق الوظيفة الإغرائية وتغليبها على الوظائف الأخرى كونها نوعًا من الإشهار للنص. وسواء أكانت القراءة تهدف إلى التواصل (إبلاغية) أو بقصد إضفاء الجمالية (إمتاعية) . فهي تحاول الإجابة عن الأسئلة المثارة لدى المتلقي، وعليه فالعنوان يبقى ذلك النص الملغز والمعزول قبل الدخول إلى النص والكشف عن كوامنه . لهذا اهتمت بعض المناهج النقدية بالعنوان كأحد العتبات النصية لا سيما المنهج السيميائي بوصفه أقصى اقتصاد لغوي ضمنه الأديب نصه الأدبي ، وتثير لحظة تلقيه تساؤلات المتلقي حول المضمون النصي

شعرية العنوان:

يشكل العنوان مرآة للنص تبدو لنا بوجهين: داخلي /خارجي وذلك من خلال تلك الإيحاءات الدلالية والنفسية المكثفة؛ إذ حين تزداد درجة الوضوح عند الإحالة إلى الواقعي فإنه يحمل درجة

إشكاليته ونجاحه في المباشرة والمجانية. أما الوجه الآخر من المرآة فلا يسمح بالرؤية المباشرة للمتلقي، بل يضفي مزيداً من الضبابية التي لا تنقشع إلا بعد قراءة النص كاملاً، وتعلق ذلك بتأويل القارئ للنص،إلى جانب تلك الملامح النفسية التي تظهر للمكان عبر حضوره النصي والإنتاجي " لا يكفي أن نعتبر البيت شيئاً، يتوجب علينا التجاوز عن وصف البيت ـ سواء كان إيراد حقائق أو انطباعات . للوصول إلى الصفات الأولية التي تكشف ارتباطاً بالبيت يتوافق على نحو من الأنحاء مع الوظيفة الأساسية للسكنى" [24] ومع ظهور الشعر الحديث، عني بالعنونة سواء فيما يتعلق بالجانب الإبداعي لدى الشعراء، أو من خلال الدراسات السميولوجية التي تناولت العنوان بوصفه علامة دالة تسم النص وتبرز مجموع الدلالات المركزية فيه. وهكذا أصبحنا أمام عناوين تحتاج ذاتها إلى التحليل والتناول النقدي. لعل أبرزها تلك الوظيفة التي بؤديها العنوان في النص الشعري الحديث فهو« الذي يسمي القصيدة ويعينها ويخلق أجواءها النصية والتناصية، عبر سياقاتها الداخليَّ والخارجيّ، علاوة على السؤال الإشكالي الذي تطرحه القصيدة »[25] وهذا ما يمكن أن ندلل به على ما تعرفه الساحة الأدبية - بخصوص الإبداع الشعري - من نزوع العنونة الشعرية نحو التعمق والوسم والبحث عن الوسائل التي بإمكانها أن تجعل من العنوان أكثر شاعرية، وأكثر دلائلية على النص خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما له من وظائف كثيرة يسهم « تحديدها في فهم النص وتفسيره وخاصة إذا كان نصا معاصرا»[26]

وعليه يّعد العنوان من بين أهمّ عناصر النّص الموازي، و على أهميته هذه استطاع أن يستجم تحت ظلال علم دقيق و ممنهج احتضنه لتحسين استثماره و مقاربته إنّه « titrologie la »أو "علم العنوان" أو "التّيتيولوجيا" أو "العنونيات"، كما يروق لعبد الحق بلعابد تسميته، وقد علّل هذا الاصطلاح قائلا: "قابلنا مصطلحtitrologie بمصطلح العنونيات جريا عن القياس المصطلحي لسانيات، سيميائيات، تداوليات فالألف والتّاء هي للجمع وهي للعلمية أيضا".[27] إنه يملك خاصية الانتشار، لأنه مكثف ومشحون دلاليا ولهذا سمي نصا موازيا،و "عني كثير من العاملين في حقل النّقد بسيميائية العنوان وبدوره في تقديم الخطاب وبتفاعله فيه، باعتباره نصّا موازيا، فالعنوان طاقة حيوية مشفّرة قابلة لتأويلات عدّة قادرة على إنتاج الدلالة".[28]

إن إطلالة سريعة على معظم الدراسات السيميائية الحديثة التي طالت الأعمال الأدبية الرّوائية منها والشعرية "تبرز بشكل واضح أهمّية العنوان في دراسة النص الأدبي" [29] والتّي تعتمد في تحليلها على قواعد المنهج السيميائي.

وتتجلى أهمية العنوان فما يثيره من تساؤلات لا نلقى لها إجابة إلا مع نهاية العمل، [30]فهو يفتح شهية القارئ للقراءة أكثر فأكثر، وهذا من خلال تراكم كمّ هائل من علامات الاستفهام في ذهنه (القارئ)، والتّي سببها الأول هو العنوان و بهذا يضطر إلى دخول عالم النّص بحثا عن إجابات لتلك التساؤلات بغية إيجادها و إسقاطها على العنوان.

ونظرا إلى هذه الأهميّة" شغلت عناوين النصوص الأدبية في الدراسات الحديثة حيزا كبيرا من اهتمام النقاد" [31] حيث رأوا فيها عتبة مهمّة من الصعب تجاهلها؛ إذ يستطيع من خلالها القارئ دخول عالم النّص دونما تردد كونه استعان بالعنوان على النّص.

لهذا أصبح العنوان في النّص الحديث ضرورة ملحّة،ومطلبا أساسيا لا نستغني عنه في البناء العام للنصوص الأدبية و غيرها، لذلك ترى الكتّاب و الشّعراء يجتهدون في وسم أعمالهم الأدبية بعناوين يتفننون في اختيارها و تنسيقها بالخطّ و الصّورة المصاحبة وذلك بعلمهم لأهمية العنوان.

وعليه يعد العنوان مرجعا يحتوي في طياته على العلامة و الرمز فهو" يكثف المعنى ويحاول المؤلف من خلاله أن يثبت قصده كليا أو جزئيا، فهو نواة يخيط عليها المؤلف نسيج النص دون تحقيق أي اشتمالية أو اكتمال، ولو بتذليل عنوان آخر يكون فرعيا والعنوان بهذا المعنى يأتي باعتباره تساؤلا يجيب عنه النّص إجابة مؤقتة للمتلقي كإمكانية الإضافة والتأويل".[32]

وبما أن العنوان أعلى اقتصاد لغوي ممكن فإنه سيفرض أعلى فعالية تلق ممكنة مما يدفع إلى استثمار منجزات التأويل، كما يشكل العنوان رسالة صادرة من المرسل الذي هو صاحب النص موجهة نحو مرسل إليه (المتلقي) تكون بنية مستقلة وظيفيا نظرا لطبيعتها اللغوية [33]كما أنه بنية لغوية مستقلة خطيا عن النص غير مشروطة بتركيب مسبق فإنه يمكن مقاربتها معجميا، نحويا، صرفيا، بلاغيا، ودلاليا، وفق أجهزة قرائية مختلفة تتعدد بتعدد الأفكار وتباين التأويلات يستند فيها المؤول إلى الذخيرة اللغوية والنحوية والاستدلالات النصية، تفرض هذه اللغة نفسها كعامل أساسي في إثارة إدراك المتلقي؛ لأن المادة اللغوية التي تشكل منها العنوان تُكون لدي المتلقي فروضاً استكشافية، بناء على ما تثيره لديه من تخمينات وحدوس، فكل كلمة تخلق لديه فضاءا تصوريا وأفقا للتوقعات لا تتحدد مساحته إ لا بعد النظر في محتويات النص[34]

إن فهم العنوان فهما صحيحا لا يتوقف على هذه المداخل اللغوية، بل «يتعداه إلى استراتيجية الانفتاح على السياق بكل مكوناته كظروف التأليف، واهتمامات المؤلف الفكرية والمذهبية وغيرها ، فهي تصبح ضرورة تأويلية لا غنى عنها، لأن كل تأويل قدر يجب أن يوضع في السياق التأويلي الذي ينتمي إليه » [35]وذلك لفهم النصوص بأكبر قدر من الموضوعية. إذن كلما كان العنوان قادرا على إثارة أكبر قدر من الأسئلة التي تقف عند كشف أسراره، كلما توثقت الصلة بين المتلقي والنص، وشُيدت جسور لمحاورة ذلك النص وهذا لا يتم إلا إذا كان المتلقي فاعلاً ذا ثقافة ودراية واسعة. فقد أدرك السيميائيون أن العتبات النصية هي الوسيط في عملية التفاوض بين ضلعي عملية الإبداع المؤلف والقارئ؛ لذا وجب أن يكون هذا الوسيط لبقا، حصيفا، مدركا، واعيا، مرنا حتى تنجح تلك العملية، لأن؛ فشلها قد يحدث ضررا جسيما بنص جيد. والعنوان من أهم النصوص الموازية للنص؛ إذ إنه أول ما يصافح بصر وسمع المتلقي، هو المفتاح الذي ستُفتح به مغاليق النص "العنوان

مفتاح أساسي يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها "[36]

لم يعد العنوان مجرد عابر هامشي لا في عملية التأليف ولا في عملية التلقي، يقول **هاو سر (M. Housser)** " قبل النص هناك العنوان، وبعد النص يبقى العنوان "، فالعنوان "... مجموعة من العلامات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص فتظهر علي رأس النص لتدل عليه وتعينه، تشير إلى لمحتواه الكلي وتجذب جمهوره المستهدف [37]

إن شعرية العنوان في كل كتاب وفي مقدمتها الروايات، تقوم على إمكانات واختيارات عديدة يدخل فيها ماهو موضوعي، وما هو جمالي، وماهو تأويلي، وما هو تجاري غرضه إغراء القارئ أو الترويج للكتاب، وكل ذلك وفق استراتيجيات جمالية تشكل ثقل و أهمية العنوان التي يؤديها في الدلالة على مادة الكتاب، ومن هنا "فالعنوان حامل معنى و حمّال وجوه ،موازدلالي للنص، وعتبة قرائية مقابلة له توجّه المتلقي، بل وتغريه للإطلاع على فحوى الرسالة المراد ايصالها من قبل المؤلف[38]

العنوان و التلقي

يعد المتلقي طرفا أساسيا في العملية الإبداعية، فلا معنى لها بدونه ،لذلك جاءت نظرية التلقي التي انصب جل تركيزها حوله، بما أنه لا يكفي الاهتمام بالعمل الإبداعي ما لم يكن الاهتمام بالمتلقي نفسه لأنَّ«عملية التلقي ليست متعة جمالية، وإنما هي مشاركة وجودية تقوم على الجدل بين المتلقي والعمل الأدبي». [39]

لقد تغيرت تلك النظرة التي اعتبرت أن العلاقة القائمة بين المتلقي والمبدع« هي علاقة منتج ومستهلك، لا تتعدى ذلك إلى حدود التفاعل والمشاركة» [40] فأصبح المتلقي هو الذي يبسط سلطته على النص يدخل إلى عالمه يحاوره، ويشاركه، ويتفاعل معه ليكمل ما هو غائب فيه، لذلك قيل أن « القارئ هو الذي يمنح للنص مشروعيته» [41]

يرى" **مايكل ريفاتير(M.Rifaterre)** هذا التداخل الحاصل بين القارئ والنص حيث يعرف الظاهرة الأدبية بأنها« ليست إنها الا العلاقة الجدلية بين القارئ والنص » [42] وهذا يعني أن المتلقي يعيد إنتاج النص وفق آلية التأثير والتأثر بينه وبين النص وفقاً لتصوره الخاص لذا قيل أنها« علاقة تبادلية في إنتاجها حسية في حواره[43]» تكشف لنا عن أهمية القارئ من حيث أنه يعيد إنتاج النص انطلاقا من القراءة الاستكشافية التي يتم من خلالها تقديم تفسير أولي لما يخفيه النص من بدايته إلى نهايته.

ومما لاشك فيه أن فاعلية ذات المتلقي قبل أن تعبر إلى النص، وتندمج معه لابد لها من أن تتوقف عند العنوان الذي يمثل« البهو الذي نذلف منه إلى دهاليز نتحاور فيها مع المؤلف الحقيقي والمتخيل، داخل فضاء تكون إضاءته خافتة» [44]على حد تعبير" **لويبوخيس "(LOUIS BOURGES**؛ إذ لا يمكن تجاوز العنوان أو قراءة النص بمعزل عنه فهو« أول شيفرة رمزية يلتقي بها القارئ وأول إشارة

يصادفها[45]»

تلفت انتباهه وتشد تركيزه يتعين عليه تحديدها واستنطاقها فهماً وتأويلاً، لأن العنوان علامة من علامات النص تخضع للتحليل مثلها مثل النص نفسه، وبذلك يكون« العنوان أولى محطات الصراع مع القارئ» [46]الذي بدوره يبدأ بفعل القراءة محاولاً ربط العنوان بجسد النص لأن العنوان بالنسبة للنص بمثابة الرأس من الجسد، وهنا يصبح حراً في الانتقال من العنوان إلى العالم، ومن العالم إلى العنوان معتمدا على مهارته، ومعرفته السابقة وخبرته، حتى يصل لمقصد المبدع ومراميه الفكرية والإيديولوجية التي كان قد حملها لنصه، والعنوان ليس عنصرا زائداً وضع هكذا اعتباطاً وبدون قصد، بل هو كما سلف الذكر« مبني على إستراتيجية هامة تساهم في تشكيلها مجموعة من العمليات الذهنية واللغوية، والجمالية المفتوحالعنوان يشكل مرآة للنص تبدو لنا بوجهين: داخلي /خارجي وذلك من خلال تلك الإيحاءات الدلالية والنفسية المكثفة. إذ حين تزداد درجة الوضوح عند الإحالة إلى الواقعي فإنه يحمل درجة إشكاليته ونجاحه في المباشرة والمجانية. أما الوجه الآخر من المرآة فلا يسمح بالرؤية المباشرة للمتلقي، بل يضفي مزيداً من الضبابية التي لا تنقشع إلا بعد قراءة النص كاملاً، وتعلق ذلك بتأويل القارئ للنص،إلى جانب تلك الملامح النفسية التي تظهر للمكان عبر حضوره النصي والإنتاجي " لا يكفي أن نعتبر البيت شيئاً، يتوجب علينا التجاوز عن وصف البيت ـ سواء كان إيراد حقائق أو انطباعات ــ للوصول إلى الصفات الأولية التي تكشف ارتباطاً بالبيت يتوافق على نحو من الأنحاء مع الوظيفة الأساسية للسكنة على اختيارات وإمكانات عديدة يدخل فيها ما هوموضوعي وما هو جمالي، وما هو تأويلي» [47] العنوان يشكل مرآة للنص تبدو لنا بوجهين: داخلي /خارجي وذلك من خلال تلك الإيحاءات الدلالية والنفسية المكثفة. إذ حين تزداد درجة الوضوح عند الإحالة إلى الواقعي فإنه يحمل درجة إشكاليته ونجاحه في المباشرة والمجانية. أما الوجه الآخر من المرآة فلا يسمح بالرؤية المباشرة للمتلقي، بل يضفي مزيداً من الضبابية التي لا تنقشع إلا بعد قراءة النص كاملاً، وتعلق ذلك بتأويل القارئ للنص،إلى جانب تلك الملامح النفسية التي تظهر للمكان عبر حضوره النصي والإنتاجي " لا يكفي أن نعتبر البيت شيئاً، يتوجب علينا التجاوز عن وصف البيت ـ سواء كان إيراد حقائق أو انطباعات ـ للوصول إلى الصفات الأولية التي تكشف ارتباطاً بالبيت يتوافق على نحو من الأنحاء مع الوظيفة الأساسية للسكنى[49]

خاتمة/

يمثّل العنوان مفتاحا تأويليا للنص الذي يعنونه ،و إن كان من الممكن أن يكون خادعا ومراوغا وسرابيا ،عندما يبنى على قصدية الإثارة و الإغراء ،و هو مايحتّم على القارئ الاستعداد لتلقي عناوين توهيمية ، تمارس مكرها اللغوي و الدلالي ، وتستخدم سلطتها الاعتبارية في الإغراء مما يتطلّب من المتلقين التزود بمكر قرائي مضاد وبوسائل معرفية وتأويلية للتحقق من تطابق الاسم مع المسمى ،أو الاقتناع على الأقل بالمادّة التي هو مدعو إلى فهمها بالتفاعل معها.

الهوامش

(1) إبراهيم عبد الرحمن إبراهيمي : عتبات النصفي زاوية الثلاثة لمحمد البشير الإبراهيمي دراسة تداولية مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ، العدد1 ، .، يونيو ، 2013 ، ص 32 .

(2) عبد الحق بلعابد : عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) ، دارالعربية،للعلوم،ناشرون،منشورات الاختلاف الجزائر ط، 1 ، 2008 ص67 ..

(3) جميل حمداوي(السيميوطيقا والعنونة،) مجلة عالم البكر وزارة الثقافة ، الكويت العدد 3، المجلد، 25 1997، ص، 97 .

(4) الفيروزآبادي، القاموس المحيط،ط2 ، المطبعة الحسينية 1344هـ ص122.

(5) الرازي، مختار الصحاح، دار التنوبر العربي، بيروت ، ب ت ص192.

(6) إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، ط4 ، 2004 ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية، ص 632-633 .

(7) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط، 1 ، 2000، مادة(عنن)، ج10، ص/ ص 213/210

(8) محمد فكري الجزار : العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط، 1998 ، ص21 /22

(9) نعيمة فرطاس : سيميائية العنوان عند الطاهر وطار رواية الولي يعود إلى مقامهِ الزكي أنموذجا مجلة الثقافة ، القدس ، العدد 21 أكتوبر 2009 .، ص 85 .

(10) باسمة درمش : عتبات النص ، مجلة علامات ، جدة ، المجلد 16 ، مايو، 2007 ، ص39

(11) محمد عبد الوهاب ثريا النص : مدخل لدراسة العنوان القصصي / / 10 / الموسوعة الصغيرة) 396 (دار الشؤون الثقافية العامة ،ط 1،بغداد ، 199.

(12) **يحياوي، رشيد. 1998. الشعر العربي الحديث: دراسة في المنجز النصي. بيروت: أفريقيا الشرق. ص ، 113**

(13) بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان/ الأردن، ط1، 2001،ص 50 .

(14) رولان بارت مبادئ في علم الأدلة ، ترجمة محمد البكري منشورات عيون الدار البيضاء 1986 ص28 .

(15) صلاح فضل نظرية البنائية في النقد الأدبي دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، ط3 ، 1987، ص447 .

(16) جميل حمداوي السيموطيقا والعنونة الدكتور مجلة عالم الفكر المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث يناير/مارس1997 ، .ص109 .

(17) N°:156 - Une unit2 discurisve restriente . le titre m Gm VIGNER le figner , le français dans le monde . October 1980, p30.

(18) صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث: قضاياه ومناهجه، ليبيا، منشورات جامعة السابع من أبريل، 2003، ص13

(19) عثمان بدري وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، دراسة تطبيقية، ، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)، 2000، ص:29.

(20) **Myres, J. & Michael, S. 1989. The Longman Dictionary of Poetic Terms. 309 New York: Long – man. p.**

(21) ينظر :باسمة درمش :علامات في النقد، مج 16، ج61، ماي 2007، ص42.

(22) باسمة درمش :العتبات النصية، عتبات النص علامات المجلد 16/ الجزء 61 ماي / 2007 ص ، 43.

[23]إبراهيم تعيلب (2005)،شعرية العنوان في الخطاب الشعري المعاصر (شعر الشرقية نموذجاً)،الموقع http//www.adab.

[24]غاستون بشلار: جماليات المكان .ترجمة غالب هلسا .المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. بيروت.ط 3 . 1987.ص35 .

[25] عثمان بدري "وظيفة العنوان الشعري الحديث: قراءة تأويلية لنماذج منتخبة"، ص: 16.

[26]نفسه ، ص: 96 .

[27]عبد الحق بلعابد، عتبات لجيرار جنيت (من النّص إلى المناص)، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1 2008، ، ص38.

[28] حلومة التجاني، البنية السّردية في قصة النّبي إبراهيم عليه السلام ، دراسة تحليلية سيميائية في الخطاب القرآني، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، ط1 2013/ 2014 عمان، الأردن، ص 73.

[29]رشيد يحياوي، الشعر العربي الحديث دراسة في المنجز النصي إفريقيا الشرق المغرب ،لبنان، 1998، ص 107.

[30]جميل حمداوي، مرجع سابق ، ص97..

[31]**رشيد بن مالك**، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة20 ، **ص75.**

[32]شعيب حليفي، النص الموازي في الرواية ،استراتجية العنوان مجلة الكرمل قبرص العدد46 ، 1996 ، ص 12.

[33]محمد فكري الجزار":العنوان والسيموطيقا الاتصال الأدبي" القباهرة ،الهيئة العامة لقصور الثقافة 2004ص.10

[34] ينظر، محمد بازي":العنوان والتعاقد التأويلي" والدلالات"،مجلة طنجة الأدبية ، الرباط ، العدد 27 ، يوليوز2010 .ص29 .

[35]محمد بازي":العنوان والتعاقد التأويلي،الوظائف والدلالات"،مجلة طنجة الأدبية ، الرباط ، العدد 27 ، يوليوز/ 2010 / ص29

[36]محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1990،1، ص 72.

[37]Loe Hoek, La marquee du titre, dispositifs semiotique d une.

[38]العنوان في الثقافة العربية (التشكيل و مسالك التأويل)، محمد بازي، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط01، 2012.، ص 17/15 .

[39]هاني الخير":محمود درويش رحلة عمر في دروب الشعر."مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع، ط .1 دمشق 2005 ، ص53 .

[40] موسى ربايعية":جماليات الأسلوب والتلقي."دار جرير للنشر والتوزيع، ط1 ،عمان الأردن، . 2008 ص9

[41] موسى ربايعية" جماليات الأسلوب والتلقي ، ص100 .

[42] مشري بن خليفة" :سيميوطيقا العنوان"، مجلة الأثر، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر .العدد 02،ماي 2003 ،ص20 .

[43]السعيد بوسقطة":مقاربة سيمائية لقصيدة نشيد الجبار لأبي القاسم الشابي"،التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية .جامعة عنابة ،الجزائر، العدد 31 ،ص:28

[44]جميل حمداوي":السيموطيقيا والعنونة"، مرجع سابق ص102.

[45]موسي ربايعية":جماليات الأسلوب والتلقي"،ص160 :

[46]محمد سالم محمد أمين":مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر،دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا .
السرد"،الانتشار العربي،ط1 ،بيروت لبنان، 2008 ،ص 102.

[47]محمد بازي":العنوان والتعاقد التأويلي،الوظائف والدلالات"،مجلة طنجة الأدبية ، الرباط ، العدد 27 ، يوليوز.2010 / ص 215

[49]غاستون بشلار: جماليات المكان .ترجمة غالب هلسا .المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر . بيروت.ط 3 . 1987.ص35